الفصل الثالث

معركة تفضيل المساواة على التميُّز

«ليس لديَّ وقت لأتجول مع الملك آرثر»[1].

Kalli Dakos 1995، p.47.

ليس لديَّ وقت لأرى حلمًا
أو أفكر بفكرة رائعة..
أو أتجول مع الملك آرثر
في أرض كاميلوت

وضعت خطًا تحت مئة اسمٍ
ووضعت دائرة حول ثلاثين فعلًا
بينما أتمنى أن يكون لهذا الكتاب
قصة لكلماته
وأستطيع أن أسافر إلى زمن آخر
مع هاك فين على متن قاربه
أو أقرأ قصيدة لسيلفر ستين

---

(1) القصيدة عن طالبة ليس لديها الوقت لقراءة ثلاثية الملك آرثر The King Arthur Trilogy by Rosemary Sutcliff وتتمنى أن تتحول إلى كتاب مغامرات بدلاً من دفتر العمل أو حل الواجبات المملة.

Digitized by Google

تجعلني فعلًا أضحك
بدلًا من ذلك ملأتُ بكلمات مركبة
واجبًا لا ينتهي أبدًا
كم أشتاق لأن أكون مع جاليفر
على شاطئ غريب وبعيد
فالأسماء والأفعال والكلمات المركبة
حزينة وغبية ومبتذلة
إن لم تحرق بجذوة
قصة ممتازة رائعة».

ليام جودأوينز في السادسة من عمره من فلوريدا يمارس الرياضة البدنية، ويتعلم رقص (هيب هوب)، ويتقرب ممن لهم خبرة موسيقية. يستمتع ليام بحضور حفلات موسيقى الروك مع والده، منذ أن قدَّمت مدرسة الحي قليلًا من الخدمات للأطفال الموهوبين. أيضًا معدل ذكاء ليام أعلى بـ(2%) من السكان، لكن منذ أن بدأت مدرسته تقديم بعض الخدمات للأطفال الموهوبين، دخل ليام في فصل دراسي منتظم، حيث يجلس غالبًا ينتظر زملاءه حتى يلحقوا بتوجيهات المدرس. كتبت سامنثا (والدته) هذه السخرية: «يرعبنا أن يتفوق الطالب المتوسط، ويظل أذكى أطفالنا في المؤخرة». (White, 2012, p.1).

ليام هو واحد من آلاف لا تحصى (ربما ملايين) من الأطفال الموهوبين في سن المدرسة الذين تُتجاهل قدراتهم بشدة وعلى نحو منظم، مراعاة لمناخ يعزز الكفاية على حساب التميُّز، والشخص الجاهل فقط هو الذي يدعي أن الناس كلهم متماثلون في العقل، والمزاج أو الإمكانات، لكن إذا أخذت نظرة متأملة على كثير من الفصول الدراسية اليوم، فسترى أن هذه هي الطريقة التي يُعامل بها الأطفال الموهوبون اليوم.

كيف وصلنا إلى هذه المرحلة، حيث الأطفال الأكثر قدرة على الإنجاز العالي في مدارسنا والأكثر في النمو الشخصي هم الأطفال أنفسهم الذين كنا نتجاهل احتياجاتهم عقدًا بعد عقد؟ مَن مِن النخب الفكرية قرَّر أن مقاسًا واحدًا يناسب المتعلمين جميعهم؟ أهو شيء صحيح؟ ولماذا نستمع إلى هؤلاء الساذجين؟ متى سيصل المد إلى فلسفاتنا

Digitized by Google

وممارساتنا التعليمية؟ فبدلًا من الارتقاء بأطفالنا الموهوبين وإعطائهم دفعات إلى الأمام، نسحق إمكاناتهم بأن نطلب منهم أن يضعوا خطًّا تحت الاسم والفعل بدلًا من البحث عن الملك آرثر وهاك فين! أو كما في كلمات ذلك الفيلسوف العظيم بوجو: «لقد قابلنا العدو، وهو نحن».

في الفصول الأربعة الآتية سوف أقدم أفكارًا متصلة وشاملة للأسباب التي وضعتنا في هذا المكان المحزن الذي نحن فيه اليوم وجهًا لوجه مع أطفالنا الموهوبين، وتعليمهم المناسب. وهذه الفِكَرُ تشمل:

1. معركة تفضيل المساواة على التميُّز.
2. تفسير الموهبة «بوصفها شيئًا تفعله بدلًا من كونها شخصًا هو أنت».
3. العلاجات التعليمة الشافية غير الناجحة.
4. العبث التشريعي.

دعونا نبدأ برأس الأفعى

تعليم الأطفال الموهوبين: عقبات غير ضرورية

في عام 1961م، كتب جون دبليو جاردنر مقالًا من أفضل ما كتب عن مذهب العقلانية (intellectualism): «التميُّز؛ هل نستطيع أن نكون متساوين ومتميزين أيضًا؟» ولأنه هو نفسه بارع للغاية، فإن جاردنر شغل منصب الرئيس لمؤسسة كارنيجي، وعمل وزيرًا للصحة والتعليم والخدمة الاجتماعية تحت رئاسة ليندون جونسون، وتلقى أيضًا ميدالية الشرف الرئاسية وهي أعلى تكريم مدني تمنحه الحكومة الأمريكية.

ولدى جمع كتابه والتعليق على التمايز الواضح بين حرف الـ(E) في الموضوعين المساواة (equity) والتميّز (excellence)، كتب جاردنر عام 1961م أن كتابًا مثل كتابه: «يجب أن يثير بعض الأسئلة التي أظهر الأمريكيون قليلًا من الرغبة في مناقشتها مناقشة منطقية» (ص11). وبعد ذلك بأكثر من نصف قرن، فإن مثل هذه المناقشة المنطقية ما زالت غير موجودة.

Digitized by Google

لماذا ظلت المناقشة حاجة ملحة في الماضي والحاضر؟ إليك هنا كيف فسرها جاردنر.

«المساواة القصوى - أو كما أفضِّل أن أقول: المساواة المفهومة بطريقة مغلوط فيها - التي تتجاهل الفروق في القدرة العقلية الفطرية والإنجاز، لم تخدم الديمقراطية أبدًا بطريقة جيدة، وإذا مضينا إلى أبعد من ذلك، فإنها تعني قطع أي رأس أو غصن يعلو فوق المستوى، وتعني أيضًا حكم لجنة التسيير؛ الشخص الذي تهزمه مجموعة، وتعني كذلك نهاية ذلك الكفاح من أجل التميُّز الذي نتج منه أعظم إنجازات الجنس البشري». (pp.4 - 15).

استخدام هذا المنطق بوصفه أساسًا له، واستخدام المُثل الديمقراطية لأمتنا مبررًا للسعي وراء التميُّز، جعلا جاردنر يذهب إلى الإقرار بأن:

«هؤلاء الذين يعدون أنفسهم الأكثر إخلاصًا للمجتمع الديمقراطي لا بد أن يكونوا بكل دقة هم الأشخاص الذين يصرون على التميُّز. الفكرة التي تقوم عليها هذه الأمة، لن تحيا إذا كان الرجال الأحرار ذوو الهدف الأسمى يصنِّفون أنفسهم بالمتوسطين المحبوبين». (ص 160).

بعض هؤلاء الذين يمكنهم أن يقفوا وينتبهوا لنصيحة جادنير هم النقاد المتسرعون الذين يدافعون عن الأطفال الموهوبين، والذين يُعلُون العدالة فوق الجميع؛ كل شيء ما عدا الأطفال الموهوبين.

متابعة المسار: تصميم المدارس بناءً على أجندة اجتماعية

نظام التعليم في المدارس العامة الأمريكية هو أحد الأنظمة التعليمية القليلة في العالم التي تعلم (كل) طفل بدءًا بالأكثر إعاقة إلى الأكثر تنافسية، ولم تكن هذه الحالة دومًا في القرن الـ (19)، عندما كان الأطفال المعاقون يُتركون في البيت أو في بدايات القرن العشرين، حينما كانوا يُحتجزون في معاهد تقدم لهم القليل؛ ليس أكثر من مكان يقضون

Digitized by Google

فيه حياتهم، ومع ذلك ونحن نتحرك إلى الأمام بعاطفتنا وتفكيرنا الجمعي، فقد وصلنا إلى تقدير أن كل طفل يستحق أن يكون متعلمًا إلى الحد الأقصى لإمكاناته؛ أما كيف نفعل ذلك، فتلك هي المشكلة.

من أجل المواءمة والحس السليم ظهرت فكرة (تصنيف الطلاب بحسب القدرات) إلى الوجود عندما بدأت جموع المهاجرين تدخل مدارسنا في أوائل القرن العشرين، وكان الطلاب يوجهون إما إلى الطريق الأكاديمي وإما إلى المهني التركيز، وذلك اعتمادًا على قدرات الفرد وإنجازه الأكاديمي.

«في المدارس ذات الأداء المنخفض، يفترض المدرسون أن الطلاب كلهم يؤدون بطريقة منخفضة؛ فحتى المدرسون لا يفكرون بإمكانية وجود طلاب موهوبين وأذكياء. فالأطفال الموهوبون والأذكياء يصرف النظر عنهم ولا يتم التعرف عليهم؛ لأن أداءهم ربما يكون في سنة واحدة أعلى من مستوى المرحلة.

وضع برامج ودعم لهؤلاء الطلاب غالبًا ما يكون غير موجود في المنهج المدرسي، ويعتمد التدريس على الاعتقاد بأن الطلاب كلهم منخفضو الأداء؛ لذا يحتاج المدرسون إلى أن يتلقوا تطويرًا مهنيًا في التعرف على مختلف الطلاب الموهوبين ثقافيًا، ولكن الأهم هو كيف نُقدِّم لهم بيئة تعليمية ومنهجًا دراسيًا متقدمًا».

دونا لافورد، برانسكويب أستاذ متميز
جامعة فاندربيليت، ناشفيل، تينيسي

وعلى الرغم من أنني متأكد أن الأصوات النخبوية ظهرت على السطح حتى في الأيام الأولى لهذا التصنيف، ومن المنطقي أن يوضع الطلاب في فصول تجعل البالغين يعتقدون أن هذه الفصول هي الأكثر فائدة للطلاب. طريق ما قد لا يكون أفضل من طريق آخر، كما كتب جون جاردنر (1961م) أن: «المجتمع الذي يحتقر التميز في السباكة لأنها عمل وضيع، ويتقبل الرداءة في الفلسفة لأنها نشاط رفيع المستوى، لن تكون فيه سباكة جيدة ولا فلسفة جيدة؛ فلا أنابيبه ستنقل الماء ولا نظرياته». (ص86).

Digitized by Google

عندئذٍ ظهر نقاد تصنيف الطلاب حسب القدرات، فهذه الممارسة نظر إليها بعض المعنيين في الأمر على أنها اختراع شرير للصفوة (النخبة) الثقافية الذين أرادوا أن يحققوا نظامين من المدارس؛ أحدهما للأذكياء من الأطفال، والآخر لبقية الأطفال، ومن نقاد تصنيف الطلاب بحسب القدرات الأكثر تشددًا جيني أوكس التي أصبح كتابها عام 1985م **تصنيف الطلاب حسب القدرات: كيف تنشئ المدارس حالة عدم المساواة؟** الكأس المقدسة التي يتمسك بها الرافضون للتبع هي عزاء لهم. وأعلنت وقتها (وفي الطبعة الثانية من كتابها عام 2005م) أن الأشخاص الوحيدين الذين يستفيدون من تصنيف الطلاب بحسب القدرات هم أطفال (حراس الفولفو) حفر أخرق في آباء أثرياء عرفوا كيف يطوعون نظام المدرسة لصالحهم، سخِرت أوكس من أي شخص يجرؤ على القول إن الأطفال الموهوبين يحتاجون إلى أن يتعلموا في فصل فيه أطفال أذكياء آخرون، يعلمهم مدرسون يعرفون كيف يدرسون ما هو أبعد من التنقيب وتقنيات الاستظهار، وعلاوة على ذلك ذكرت مرارًا وتكرارًا أن فصول المستوى الأقل تتبعًا تمثل أطفال الفقراء والأقليات الذين يستحقون الأفضل، ويقوم بتدريسهم معلمون لهم خبرة أقل ومهارة تعليمية أقل؛ لذلك فهم يقمعون انخراط الأطفال في عملية التعلم.

هذه الفصول أيضًا مليئة بمثيري الشغب المعطلين الذين ينتقصون من قيمة تعلم الطلاب الذين يريدون أن ينجحوا فعليًّا.

وأنت، ماذا تعرف؟ بهذه النقاط الثلاث الأخيرة، تُعدُّ أوكس على حق، لكن حلها ليس أن تحلل ما يمكن عمله لتقوية بيئة التعلم للطلاب، في الفصول ذات المسار الأدنى، والأكثر من ذلك تريد أن تتخلص من الأماكن نفسها التي يكون فيها الطلاب ناجحين، وتضع الطلاب جميعهم في بيئة غير متجانسة، بحيث لا يتعلم أحد في المستوى الذي يناسب مستوى كفايته الحقيقية، أعتقد أن أمي ستقول إن هذا: «هو إلقاء الطفل في ماء الاستحمام».

لم تكن أوكس الوحيدة في اتهامها للطلاب الموهوبين وذوي المقدرة العالية أو آبائهم؛ فهناك شوكة دائمة في خاصرة المؤلف ألفي كوهين؛ ففي مقال رائع بعنوان (فقط من أجل طفلي: كيف يقوض أولياء الأمور الأثرياء إصلاح المدرسة) عام 1998م، قال كوهين إنه: «لا

Digitized by Google

توجد منظمة وطنية تسمي (آباء أثرياء ضد إصلاح المدرسة)؛ لأنها - من ناحية - لا تحتاج إلى أن تكون موجودة». (ص569). وأضاف شارحًا (اتهام) بأن مناهج تصنيف الطلاب بحسب القدرات نادرًا ما تكون مصممة لأغراض تعليمية مشروعة، بل إنه استشهد بدراسة سابقة (ويلز، سيرنا، 1996م) عن إبطال تصنيف الطلاب بحسب القدرات في المدارس المختلطة عرقيًّا، وقد وصف كوهين هذه المناهج بأنها: «انتزاع فاضح للفوائد النادرة المصطنعة من قبل هؤلاء بقوة الحصول عليهم». (ص271). يبدو أن كوهين يعتقد أن والد الطفل الموهوب في أمريكا هو جزء من مؤامرة كبرى لخفض منزلة التعليم لكل طفل غير طفله، ومن المحزن أن بعض نقاط كوهين الجيدة عن كيف نحسن التدريس للطلاب كلهم ضاعت بلغته المتحيزة التي قلما تخدم الغرض، بل إنها تستثير القارئين. (إنني أرى ألفي كوهين مثل دونالد ترامب؛ التعليم رجل ذكي فيه كثير من الغطرسة، ويصعب أن تأخذه على محمل الجد).

باحثة أخرى، آنا ويلوك 1995م، مؤيدة شديدة للخروج عن تصنيف الطلاب بحسب القدرات، وقد ذكرت في مقال بعنوان (الانتصار على آباء الموهوبين) أنه في تحليلها الشامل لإحدى مدارس منطقة في ولاية واشنطن، فإن آباء الموهوبين يعتقدون أن تقسيم الطلاب إلى مجموعات متغايرة العناصر مفيد، عندما أُعطوا دليلًا على أن التعليم المدرسي الشامل يعطي الطلاب كلهم نوع التعليم الذي عادة ما يُحفظ للطلاب الموهوبين» (ص 17).

أنا لستُ متأكدًا لماذا أصبح الحل الذي يشي بإحساس عام لتعليم الأطفال - بوضعهم في فصول فيها أطفال يجارونهم في القدرة و/ أو الإنجاز اللذين يمكن قياسهما - أصبح حربًا ثقافية على آباء الأطفال الموهوبين، لكن هذه هي البالوعة التي تستقر فيها الآن المناظرة التي تخص تصنيف الطلاب بحسب القدرات. كل مدرسة الآن تقريبًا في أمريكا لا يوجد فيها هذا النظام الصارم الذي يصنف الطلاب بحسب القدرات كان موجودًا منذ أوائل القرن العشرين حتى منتصفه، حيث كان الطفل يُدفع في سن باكرة مقيدًا بمستوى واحد في الفصل، ولا يسمح له بأن يحيد عنه، أما في مدارس اليوم، فالحقيقة أن مصطلح تصنيف الطلاب بحسب القدرات يُستخدم في غير زمانه الصحيح، ويحل محله مفهوم

Digitized by Google

أكثر دقة وواقعية: (التقسيم إلى مجموعات بحسب القدرة). باستخدام التقسيم بحسب القدرة، يوضع طالب معين لديه ميل إلى الرياضيات قد يكون في فصل ذي مستوى عالٍ في الهندسة، بينما يكون في فصل اللغات أو الفنون أو التاريخ أقل مستوى في الحقيقة. وقد تبنَّت الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين موقفًا رسميًّا في سنة 1991م، عندما صدقت بوضوح على التقسيم إلى مجموعات بحسب القدرة، بينما نبذت تصنيف الطلاب بحسب القدرات؛ لأنه عقيم. نقرأ في البيان (في جزء منه):

> «أن نتخلى عن الإستراتيجية التعليمية المثبتة بتقسيم الطلاب إلى مجموعات للتعليم في وقت يعاني كارثة تعليمية في الولايات المتحدة، سيؤدي إلى تدمير مكانتنا التنافسية التي هي هزيلة بالفعل بين باقي دول العالم، وسننكث بوعدنا في تقديم تعليم مناسب للأطفال كلهم». (ص1).

أنا لست على يقين بأنني قد جئت بشيء من المقارنة العالمية، فما زالت تنطوي على الفائزين والخاسرين، لكن سطر النكث بوعدنا....، يجعل المعنى كاملًا بالنسبة إليَّ. وإذا كان دعم الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين (NAGC) ليس كافيًا بالنسبة إليك، فربما تقنعك نتائج دراسة سنة 1995م التي أجراها بروير، وريس وأرجيس، بالتأثير السلبي للتقسيم غير المتجانس للأطفال الموهوبين؛ فبعد دراسة حالات (3900) طالب في الصف العاشر في فصول أنواع الرياضيات كلها - مقسمين على مجموعات متجانسة وغير متجانسة- وجد الكاتبان أن:

> الحكمة التقليدية التي تقوم على أساسها سياسة تصنيف الطلاب بحسب القدرات - أن الطلاب في الفصول منخفضة المستوى يؤذون بتصنيف الطلاب بحسب القدرات، بينما لا يتأثر الآخرون - ببساطة لا يدعمها دليل قوي...، وثمة مجموعة من التحليلات الأخرى الحديثة وصلت إلى النتيجة نفسها، ومن الواضح أن هناك قضية إبطال تصنيف الطلاب بحسب القدرات على أساس المساواة، لكن بالنتيجة قد يعاني

Digitized by Google

الطلاب في فصول المستوى الأعلى خسائر كبيرة في تحقيق درجات الامتحان (ص 212).

والأكثر حداثة، درس الباحثان كولينز وجان (Collins & Gan, 2013) مدرسة دالاس (TX) العامة التي يقسم فيها الطلاب إلى مجموعات بحسب إمكاناتهم في فصولهم، وبينت النتائج أن درجات الرياضيات والقراءة ارتفعت لدى كل من الطلاب ذوي الأداء المرتفع وذوي الأداء المنخفض، وفي الفصول التي قسمت على أساس التجانس، وبالأداء المدرسي السابق – النتيجة التي قد تدهش قلة من الموجودين في خنادق المعلمين.

ثمة دراسة حديثة أخرى ذهبت بعيدًا لتدحض خرافة أن الطلاب غير الموهوبين، مسافة الذين كانوا مرشحين (على الهامش) لمجموعة برنامج الموهوبين قد أدوا أداءً أكاديميًّا أفضل عندما وُضعوا في فصول مع طلاب معروف أنهم موهوبون؛ وفي هذه الدراسة التي أجريت عام 2013م على (14000) من طلاب الصف الخامس، حلل الباحثون (Bui, Craig, & Imberman) درجات الطلاب في الاختبارات المقننة في الرياضيات والعلوم والدراسات الاجتماعية وفنون اللغة، مقارنة مع درجات الطلاب المرشحين (على الهامش) بهؤلاء الذين لم يؤهلوا على الإطلاق لفصول برامج الموهوبين، وبالرغم من أن الطلاب الهامشيين قد وضعوا في برنامج للموهوبين، فإن درجات امتحانهم لم تكن أفضل من الطلاب غير المشتركين في فصول الموهوبين، مناقضين للاعتقاد السائد بأن الطلاب ذوي الإمكانات المنخفضة أثبتوا أنهم أهل لمواجهة هذا التحدي، عندما أحيطوا بزملاء أعلى إنجازًا. لم تُسجل مثل هذه الزيادات، وعلى أحدنا أن يتساءل ما إذا كان المدرسون في برنامج الموهوبين يقللون من صعوبة المقررات الدراسية لتناسب هؤلاء الطلاب الذين لم يؤهلوا للالتحاق بها.

وكما أكدنا سابقًا، وضع الطلاب غير الموهوبين في فصول مع هؤلاء الموهوبين هي إستراتيجية (جيدة) مقصودة؛ لدعم ذوي الإنجاز الأقل استجابة اجتماعية لقضية تعليمية. الدراسة التي أُجريت في دالاس المذكورة آنفًا هي دليل آخر على خطأ المحاولة المصطنعة لمساواة شيئين غير متساويين، وكما ذكر ستيفاني تولان المدافع عن الطلاب ذوي الموهبة

Digitized by Google

العالية والعميقة: «ليس لك الحق الأخلاقي أن ترجع طفلًا إلى الخلف، وتجعل آخر يشعر أنه أفضل» (Meckstroth & Kearney, 2013, p.289).

ومما يدعو للسعادة أن الميل تجاه إبطال تصنيف الطلاب بحسب القدرات قد فقد شيئًا من زخمه في العقد الماضي، كما يتضح من تحليل معهد بروكنغز (Loveless, 2013)، الذي أظهر أن التقسيم إلى مجموعات بحسب القدرة في الصفين الرابع والثامن، قد زاد زيادة مطردة منذ عام 2000م في الرياضيات والقراءة، الميل الذي أدهش الباحثين بسبب «المعارضة الشديدة من منظمات قوية» (ص13) لهذه الممارسة. اليوم نحو ثلاثة أرباع طلاب المدارس الابتدائية والمتوسطة الأمريكية في نمط الفصول المقسمة إلى مجموعات بحسب القدرة، وحتى المدرسون يشعرون بالارتياح في هذا التوجه، وقد أظهرت بيانات بروكنجز أن (71%) من مدرسي الصف الرابع اتفقوا في عام 2009م مع فكرة التقسيم إلى مجموعات بحسب القدرة على القراءة، ارتفاعًا من (28%) في عقد سابق. واتجاه مماثل آخر نحو الأعلى (ولكن أقل إثارة) رُصد لدى مدرسي الصف الثامن أيضًا، بيد أن فكرة أن يتعلم الأطفال كلهم في بيئة شاملة ما زالت منتشرة في بعض المدارس الابتدائية – في السنوات التي يحتمل أن تكون قدمت فيها برامج الأطفال الموهوبين (وتم التخلص منها)، تدرك هذه الحقيقة جيني أوكس (2005م)، وهي الآن مديرة لبرامج المنح الدراسية والفرص التعليمية بمؤسسة فورد، في مقدمة الطبعة الثانية لكتابها البقاء على تصنيف الطلاب بحسب القدرات» أن «الدرس الأكثر رصانة أنه، على الرغم من الدليل القوي والإصلاح الكبير السنوات العشرين السنة الأخيرة، فإن معظم المدارس الأمريكية ما زالت تعمل بتصنيف الطلاب حسب القدرات» (ص12).

لذلك القول سأضيف.....: آمين على ذلك! لأنه عندما يُغلِّب علم الاجتماع الحس العام بخصوص التسكين التربوي والممارسة، فإن الخبراء المخطئين – مثل جيني أوكس وألفي كوهين – يستمع إليهم، ومن الأفضل لي أن أكون إلى جانب الـ (71%) من المدرسين الذين هم في خط المجابهة في التدريس، من أن أدعم خطاب أناس، مثل أوكس وكوهين اللذين يعظون من بعيد.

Digitized by Google

كل شخص يمكن أن يكون موهوبًا، هل هذا صحيح؟

«لكل شيء حدوده؛ فالحديد لا يمكن أن يتعلم ويصبح ذهبًا».

مارك توين

كثير من النقد لتصنيف الطلاب بحسب القدرات يأتي من الأفراد الذين يعتقدون أننا نقلل من شأن ذكاء كثير من الأطفال، وخصوصًا من هؤلاء الفقراء، أو ممن يتحدثون قليلًا من الإنجليزية، أو من هم أعضاء في مجموعة الأقليات (باستثناء الآسيويين الذين هم ممثلون على وجه العموم في برامج الموهوبين). لستُ هنا لكي أدحض هذه الافتراضات، في الحقيقة في كثير من الأحيان، يُمنح الأطفال بوجه عام ومن بينهم الأطفال الموهوبون قليلًا من الاهتمام حينما يطلب من الكبار الإقرار وتبني القدرات؛ لذلك إذا كان الطفل كريه الرائحة أو رثَّ الثياب أو سيء الخط، أو له موقف سيء أو فقد انتباهه لجزء من الثانية، فغالبًا ما يتساءل المعلمون وآخرون كيف يكون مثل هذا الشخص ذكيًّا. هذا يدفع البالغ الملاحظ والمفكر ليشاهد ما وراء الأقنعة التي غالبًا ما تخفي الموهبة، وتأسر الجوهر الفكري الذي هو هذا الطفل، وكما كتب توماس جيفرسون: «دعونا في حلم التعليم ذي الأداء الأرستقراطي الناتج من ديمقراطية الفرصة». مثل هذه الفرصة لا تبدأ ببرنامج معين أو ببنية فصل دراسي، بل تبدأ بالموقف الذي يسمح لأحدنا أن يغوص تحت سطح القشرة الأكاديمية للشخص.

ومع ذلك، هذا الموقف المحترم والرؤية الثاقبة تجاه استكشاف الموهبة في الأطفال الذين لا يبدون أذكياء أو يتصرفون بطريقة ذكية، هو بعيد كلَّ البعد عما يعصف بوسائل الإعلام الشعبية من انتقام: أي شخص يستطيع أن يصبح موهوبًا ما دام يحاول بجدية، وقد أطلق على هذه الظاهرة اسم مبدأ المساواة القسرية Coercive Egalitarianism (CE 2.0)، وقد شرح دكتور ستيفن سكرودير ديفيز (2012م) أن ناقل البيانات- الإيثرنت (CE 2.0) هو فرع من الأدب الشعبي الذي يؤكد أن:

Digitized by Google

«الاستعداد ليس عاملاً في تطور الموهبة، لكنه بالأحرى عامل مميز، والذي يفصل مستويات المهارة هو كمية الممارسة التي يمارسها الأفراد» (ص6).

الكتاب الذي يلخص فكرة؛ «أستطيع أن أعمل بنفسي نحو الموهبة» هو كتاب مالكولم جلادويل أوتليرز (Malcolm Gladwell) **قصة نجاح** (Outliers: The Story of Success)، الذي نشر سنة 2008م؛ إذ يفترض أوتليرز أن ما يفصل القش الفكري عن القمح ليس الكفاية، ولكن الممارسة، وقد استخدم جلادويل ما سماه قاعدة الـ (10000) ساعة أساسًا لمناقشته. وقد عمل عالم النفس ك. أندرس إريكسون، الذي أثارت مقالته المنشورة في 1993م (دور الممارسة المدروسة في اكتساب أداء الخبير) هذه القضية مبدئيًّا، حيث استقصى إريكسون وزملاؤه في هذا المقال (1993م) أداء عازفي الكمان النخبة في أكاديمية الموسيقى في برلين، وما وجده أن العامل المميز الذي يفصل بين أكثر الموسيقيين إنجازًا عن أقلهم لم يكن مستوى جودة مهاراتهم الأولية، وإنما كمية الوقت الذي قضوه في التدريب المدروس والمركز والمكثف. ومع السنين أصبح هؤلاء العازفون الذين تدربوا لمدة (10000) ساعة أفضل الأفضل، فلا يهم مستوى المهارة الذي كانوا عليه عندما دخلوا الأكاديمية. واستمر جلادويل يذكر مجموعة أخرى من الموسيقيين؛ فرقة البيتلز (The Beatles)، وادعى أن جدول أدائهم الباكر والمرهق (1962 – 1960م) في هامبورج، ألمانيا كان مجموعه (10000) ساعة من التدريب احتاجوها ليصبحوا موسيقيين عالميين، وكتب جلادويل في كتابه «البيتلز لم يكونوا بتلز دون هامبورج» (ص50).

شرودرر- ديفيز (Stephen Schroeder-Davis, 2012) اعترض اعتراضًا حادًّا على استنتاج جلادويل عن البيتلز قائلًا إن

«حذف جلادويل إشارات عن عشرات من الفرق التي فعلت الشيء نفسه، وفي الوقت نفسه، ولم يغيروا الموسيقى الشعبية؛ هل سمعت عن روري والأعاصير؟ لقد كانوا نجومًا في هامبورج لأجلهم فتحت البيتلز. دعني أكن واضحًا: تجربة البيتلز في هامبورج كانت في الحقيقة

Digitized by Google

مكملة لتطورهم، وحتى إنها غيرت قواعد اللعبة، لكن هذه الساعات من التدريب لم تكن لتنتج إرث فرقة البيتلز لو لم تكن لديهم الموهبة العميقة أيضًا، هذا العامل الذي لم يتطرق إليه جلادويل إلا بإيماءة عابرة» (ص6).

أشار سكرودير ديفيز إلى خلل في منطق جلادويل عندما استخدم عازفي الكمان في برلين مرتكزًا لتوكيده: هؤلاء الطلاب كانوا بالفعل مؤدين عالميين - أنت لا تستطيع أن تدخل أكاديمية الموسيقى لو لم تكن عالميًّا! ولأنه لم يكن راغبًا في أن يضحي بالموهبة على مذبح المجهود، عرف شكرودير ديفيز ما يجب أن يكون واضحًا: القدرات الفطرية تؤثر على الأقل في نجاح الحياة.

بوساطة عشرات الكتب ومئات المقالات التي مجَّدت فوائد الـ (10000) ساعة في الرياضة، والأعمال، والتمريض.. إلخ (بما في ذلك جزئية لطيفة في الجريدة البريطانية جارديان بعنوان (جيتار صفر): هل يمكن أن تحوِّل العلوم عالم نفس إلى عازف جيتار محترف مثل جيمي هنيدركس؟ من الواضح أن هذا المفهوم صمم ليجعل أيًّا منا يشعر بالرضا عن إمكاناته الذاتية التي تجد استحسانًا عند الجماهير، لكن كما أشار ديفيد برادلي في مقاله سنة 2012م: «لماذا قاعدة جلادويل ذات الـ (10000) ساعة غير صحيحة؟»؛ (10000) ساعة ليست رقمًا سحريًّا. في دراسة، كان طلاب الكلية يتدربون على حفظ سلاسل طويلة من الأرقام، فأصبحوا خبراء بعد (500) ساعة من التدريب، وعندما استشهد جلادويل بـ (بيل غيتس) بوصفه مثالًا آخر للتدريب المدروس كونه السبب في نجاحه، نسي أن يذكر أن تدريب غيتس لم يكن كله مدروسًا؛ فبعضه كان عارضًا، كدخوله الباكر على الحاسوب وهو في سن الثالثة عشرة، في وقت كان الحاسوب نادرًا، وعلاوة على ذلك لكي يصل المرء إلى قمة (10000) ساعة، فيحتاج إلى تدريب مقداره (90) دقيقة يوميًّا لمدة 20 سنة، أو ثلاث ساعات يوميًّا لمدة عشر سنوات؛ لذلك لو اقترح أي منا استخدام قاعدة الـ (10000) ساعة بوصفها طريقة لتشجيع الأطفال الصغار على أن يكونوا ناجحين، فمن الأفضل أن يكون لديك كثير من الصبر؛ واختتم برادلي قائلًا:

Digitized by Google

«نحن لا نعرف بعد إذا ما كان أي شخص لديه حافز قوي لدرجة كافية، ووقت فراغ ممكن، لأن يصبح ببساطة عازف كمان من خلال التدريب المدروس المتواصل عامًا بعد عام، لذلك في حين يمكن للممارسة أن توصلنا قريبًا من الكمال، إلا أنه بالنسبة إلى كثيرين يعد هدفًا لا يمكن تحقيقه». (ص 2).

المزيد عن العبقرية العامة

دفع كتاب جلادويل إلينا عددًا من الاستنساخات، من بينها كتاب ديفيد شينك (David Shenk) سنة 2010م **العبقرية في كل منا: لماذا كل ما قيل لك عن الجينات الوراثية، والموهبة، ومعدل الذكاء خطأ؟** (The Genius in All of Us: Why Everything You've Been Told About Genetics, Talent, and IQ Is Wrong) عنوان هذا الكتاب وحده ينذرك بأن الكاتب سوف يوجه بعض الضربات القوية في مناقشته حول الطبيعة والنشأة، وحول أسس الذكاء التي افترضها فرانسيز جالتون سنة 1874م، وبالفعل ضرب بعنف. اعتمادًا على العلم الجديد، علم الاستنساخ (حقًّا) الذي هو دراسة عن كيفية تغيير جيناتنا عن طريق المحفزات البيئية والهرمونات والنبضات العصبية، فقد عرض شينك واحدة من تفاهاته الكثيرة: إن عالمنا لا توجد فيه (ندرة موهبة) بل (فيض من الموهبة الكامنة)، لذلك كيف يستفيد الشخص من هذه الموهبة الكامنة ويحولها إلى عبقرية؟ بسيطة! قاعدة الـ (10000) ساعة! إذا كان التدريب، والتدريب.. ومزيد من التدريب هو الطريقة الوحيدة للوصول إلى قاعة كارنيجي، وهو أيضًا الطريق إلى إطلاق العبقرية المختفية في داخلك. اعتمادًا على حكاية بعد حكاية للأشخاص المشهورين (بالمناسبة معظمهم من الرجال)، وكشف شينك عن موزارت (Mozart) بوصفه شخصًا أدى تدريبه، وليست عظمته الموسيقية الأصيلة، هي التي جعلته يبرز في سن باكرة، ولأن تيد ويليامز كان يتدرب بمضرب الكرة لوقت طويل، حتى تدمى أصابعه، دليل آخر على أن التعلق بشيء تحبه، وتتحمل من أجله الآلام والفشل، سيجعلك لاعبًا في فريق ريد سوكس في بضعة مواسم تحقق فيها معدل (400) ضربة.

Digitized by Google

في معرض تحذيره لنا لا يمكن أن نسمح لأنفسنا بأن نفكر بعد الآن باستخدام نماذج الذكاء القديمة، فقد ضمن شينك فصلًا في كتابه بعنوان كيف تكون عبقريًّا؟ وهو ما دفع الناقد سوكي ويسلنج (2010م) ليعلن بأن هذا الكتاب هو دليل عظيم للمساعدة الذاتية لهؤلاء الذين يشعرون بالفشل (Para,1). هل مثل فرقة البيتلز في خمسينيات وستينيات القرن الماضي المعروفة باسم (Rory and the Hurricanes) روري والأعاصير؟

هناك انجذاب روحاني للنظرية التي تقول إنك تستطيع أن تكون أعظم مما تعتقد أنك عليه، وليس لأحد الحق في أن يقلل من شأن المجهود الذي يبذله شخص يريد أن يطور نفسه بصدق، ومع ذلك هذه صرخة بعيدة لرفض الدور الذي تؤديه الوراثة (أو التقليل من استمرارها) في تحديد الذكاء؛ لا تستطيع فقط أن تلغي (150) سنة من الدليل المناقض، وتعطي عنوانًا فرعيًّا متسرعًا لكتابك، مثلما فعل شينك.

التضمين الذي جاء به شينك وآخرون ممن يعتقدون أن الموهبة عامة تظهر عند بعض الناس، بينما تبقى كامنة عند آخرين تضع أنصار الطفل الموهوب في موقف حرج؛ لأننا إذا أنكرنا أن الأطفال الموهوبين موجودون، أو كما كتب شينك (2012م) في كتابه: «لا يوجد أحد مصمم وراثيًّا للعظمة». (ص43)، فإذن، ما الأهداف الحقيقية التي تقدمها فصول الموهوبين؟ أستطيع بالفعل سماع مديري المدارس يحاولون توفير بعض الدولارات بأن يقولوا لكلياتهم إن برنامج الموهوبين سوف يلغى، والنقود التي تنفق عليه ستحول لكل الفصول الدراسية لتساعد على تفتح العبقرية الكامنة.

> استقبل كثير من الناشرين البارزين كتاب شينك بطريقة احتفالية، مثل نيويورك تايمز، والجارديان، فريكونو ميكس بلوج، لكن تحليل ويسلنج الأخير (2010م) هو حقًّا الذي أصاب الهدف: إنه لأمر مهم أن تقول إننا نستطيع أن نغير حياة طفل باعتقادنا أن لديه إمكانية أن يتفوق، لكن أن ننكر احتياجات (الأطفال الموهوبين) بناءً على نظرية تلهمنا، فلن يقودنا ذلك لأي هدف في بناء مجتمع وظيفي من البالغين

Digitized by Google

المتعلمين جيدًا؛ خطة شينك مثيرة للاهتمام، لكنها ليست خطة للموهوبين ولا لأي تعليم (Para,19).

كتابان آخران لهما صلة بالموضوع يفرغان الجينات الوراثية في الأداء الأمثل إلى حالة العدم، هما كتاب ماثيو سيد (Matthew Syed, 2010) **وثبة: موزارت، وفيدرر، وبيكاسو، وبيكام، وعِلم النجاح** (Bounce: Mozart, Federer, Picasso, Beckham, and the Science of Success)، وكتاب دانيل كويل (Daniel Coyle,2009) **شيفرة الموهبة: العظمة لا تولد، بل تُنمَّى. إليك كيف** (The Talent Code: Greatness Isn't Born. It's Grown. Here's How). الموجز الآتي هو رشفة من زيت الثعبان يحاول كل منهما أن يبيعه[1].

سيد (Syed) كاتب رياضي في جريدة تايمز اللندنية، وبطل أولمبي سابق اشترك في دورتين أولمبيتين بكرة الطاولة، يقفز إلى الموضوع، فيقول بلغة مجازية متفقًا مع مالكولم جلادويل: في الحقيقة أنه ذكر كلمة ناشزين (Outliers) ثلاث مرات في أول سبع عشرة صفحة من كتابه. متمسكًا بقاعدة الـ (10000) ساعة، ادعى سيد (2010م) ذاكرًا قصة بعد أخرى بأن الجينات الوراثية لا تؤثر في الأداء فوق العادي، مركزًا بذلك على الرياضيين - روجر فيدرر، ديفيد بيكام، وتايجر وودز - ادعى سيد أنه فقط من خلال التدريب، فشل التدريب أو تعاليم التدريب يصبح أحدنا متميزًا. وأعطى عنوانًا لهذا الجزء الأول من كتابه **أسطورة الموهوب** (The Talent Myth)، واستخدم نفسه بوصفها دراسة حالة؛ شخص وُلد في بيئة متواضعة وما زال يصعد إلى القمة: «لا ملعقة فضية، لا مزايا، لا محاباة. انتصاري كان انتصارًا للفردية». (ص4)، ثم حكى قصته الشخصية عن مدرب حوَّل المنطقة البريطانية بأكملها إلى بيئة ملائمة للاعبي تنس الطاولة المتميزين، وكان هو نفسه الذي يشاهده الجميع، وبسبب هذه الخبرة الشخصية مع قاعدة الـ (10000) ساعة، ادعى سيد أن الموهبة (فكرة ميتة)، مصرًّا على أن كل شخص لديه استعداد أن يسير في درب التميُّز

(1) إن إحدى حيل الدجالين هي محاولة بيع ماء على أنه رشفة من زيت الثعبان تعالج من الأمراض، هذه كناية عن محاولة النصب باسم العلم (المترجمة).

Digitized by Google

لكن كما كتب مايكل هندرسون (Michael Henderson, 2010) زميل سابق لسيد، في جريدة تايمز: «يتوق سيد ليجد العمق بينما هو غير موجود» (ص9).

إن الخطر في كتاب مثل **وثبة** (Bounce) كمن يقدم وجبة طعام سريعة؛ ماتعة لكنها غير مستدامة، لكن هذا لا يمنع أن تلقبه جمعية كتاب الرياضة البريطانية بـ (أفضل كاتبٍ حديث) في عام 2011، ولا من أن يصبح كتابه الأكثر مبيعًا في بريطانيا وأمريكا، أنا لا أدعو لأن تقرأ هذا الكتاب - فإذا قرأت **الناشزون Outliers**، أو حتى مقال مراجعته في الصفحات القليلة السابقة، عندئذٍ ستحصل على جوهر **الوثبة** أيضًا، لكن ما يهم هو أن تتأهب للسخافات التي تصل إليك من خلال السير الجميلة المفروضة عليك وسرد القصص الحيَّة. **الوثبة** يفعل ذلك جيدًا، ولكن مقدمته المنطقية معيبة، كما قال عالم الفلك كارل ساجان: «غياب الدليل ليس دليلًا على الغياب».

في **شيفرة الموهبة** (The Talent Code) استخدم دانييل كويل (Daniel Coyle, 2009) دليلاً علميًّا ليثبت أن العلم لا يثؤثر بصورة كبيرة في تنمية الموهبة، وإذا كان هذا يبدو كلامًا مزدوجًا، فأهلًا بك في عالم كويل؛ فقد بدأ كتابه كما يفعل علماء النفس الأكثر شهرة بقصة إجبارية عن كلاريسا ذات الثلاثة عشر عامًا، كلاريسا المسكينة هي فتاة لقيطة شعثاء ليس لها أي نصيب من الجمال، ليس لديها استعداد معين لأي شيء، وفي أحد الأيام وخلال ست دقائق منعت خلالها عن درس الموسيقى (تلائم صورتها المأخوذة بالفيديو)، كان أداؤها شبيهًا بأداء الكمان المبدع في أثناء أدائها مقطوعة (عرس ذهبي) لوودي هيرمان (Woody Herman) على آلة الكلارنيت، هذا فتن كويل لدرجة أنه كتب:

> «هذه ليست صورة لموهبة خلقت بالجينات، إنه شيء يسترعي اهتمامًا أكثر، إنها دقائق ست لشخص عادي دخل في أثنائها منطقة مثمرة دخولًا ساحرًا، لقد دخلوا منطقة التعلُّم المتعجل، تلك لا يمكن أن تُعبأ في زجاجات، يمكن الدخول إليها بهؤلاء الذين يعرفون كيف، باختصار لقد كسروا شيفرة الموهبة» (ص 5-6).

Digitized by Google

بعد قراءة هذا، توقعت أن يثير رود سيرلنج (Rod Serling) هذه المشكلة بغضب. بدلًا من ذلك كله ما رأيته هو (اكتشاف كويل العلمي الثوري) كيف أن عازلًا عصبيًّا يسمى النخاع هو عِرق التفوق الشخصي. هذا العازل العصبي موجود منذ زمن بعيد في دماغ الإنسان، وذكره كويل في كتابه سنة (2009م)، يزداد سُمكه عندما تمارس أنشطة بعينها، وهذا العازل السميك جيد، فكلما زاد سُمكه، اكتسب الإنسان مزيدًا من السرعة والمهارة. - وهكذا جاءت الدقائق الست في منطقة كلاريسا (Clarissa Zone) ذات الدقائق الست، كما سماها كويل. (أنا لم أُلفّق هذا!) ومن المحزن أن هذا العازل العصبي غير مدرك بالحواس- لا نستطيع أن نراه أو نلمسه، فقط تشعر بزيادته عن طريق تأثيراته التي تبدو ساحرة (ص6).

إذن تلك هي: نظرية تطور الموهبة التي تعتمد على مادة لا يمكن قياسها، تقلل من تأثير الجينات الوراثية، بينما تستخدم ردة فعل نفسية لتدعم هذا الادعاء.وهكذا فإن سرَّ الكشف عن شيفرة الموهبة هو أداء تدريب عميق (إنها قاعدة الساعات الـ (10000) مرة أخرى)، الاشتعال (الفتائل الأولى التي تحفزك للإنجاز)، وقادة التدريب (المدرسون الذين يشجعون التدريب العميق وتحفيز اللاعبين)، وبذلك فإنه مقدر لك أن تصبح متميزًا مثل جيسيكا سيمبسون؛ مغنية البوب الأكثر من رائعة والمثال الذي أورده كويل ليؤكد ادعاءاته). أهو جاد؟

أحد النقاد (Aesopian, 2012) لخص تأكيدات كويل كما يأتي: «استدعِ شخصًا عاطفيًّا تجاه شيء معين، واجعله يمارسه سنوات عدة تحت إشراف مدرب خبير، سوف يصبح مستواه جيدًا، (وإذا لم يفعل فلن يكون كذلك)» (Para,16).

حتى لا ينهزم، قرر مالكولم جلادويل أن يكتب جزءًا آخر لكتاب عن عدم أهمية الذكاء العالي والطموح القوي، في **ديفيد وجولياث: المستضعفون، وغير الأسوياء، وفن محاربة العمالقة** (2013م)، استخدم جلادويل دراسة حالات مختارة لأوغاد، في هذا الكتاب، ما زال جلادويل يحفر في المقدمة المضلله لكتابه **الناشزون Outliers**: إمكانات فطرية لها قليل من الأهمية في النجاح على المدى البعيد، ما يهم حقيقة هو التغلب على الصعاب الشخصية

Digitized by Google

ومشكلات الأسرة، وبالطبع فإن السِّيَر التي اختارها لهؤلاء الفائزين تثبت جميعها وجهة نظره، نعم صحيح. جلادويل أيضًا استخدم دراسة حالة ليثبت أنه إذا أردت أن تنجح، فيجب أن تخضع طموحاتك للمراقبة، وأشار إلى كارولين ساكس (اسم مستعار) التي أحبت العلوم، وقررت أن تذهب إلى جامعة براون بدلًا من الذهاب إلى جامعة أقل مكانة في واريدلاند. واحسرتاه! هذا القرار (من وجهة نظر جلادويل) كان بداية انهيارها الأكاديمي؛ لأن كارولين المسكينة شعرت بعد وقت قصير في براون، بأنها لم تكن ذكية؛ لذلك غيرت تخصصها إلى الفنون الليبرالية. مأساة، أليس ذلك صحيحًا؟ حسنًا جلادويل يريدك أن تفكر بهذه الطريقة؛ لأنه مقتنع لو أنها حضرت في جامعة ماريلاند بدلًا من براون لاحتفظت بثقتها في نفسها، وربما كانت عالمة عالمية، الآن أنا لست متأكدًا من الدرس الأخلاقي هنا، لكن يبدو أنه شيء مثل (المعدل الثاني جيد بدرجة تكفي)، مستخدمًا منطقه: أعتقد أن الطريق إلى النجاح لمستضعفي العالم هو أن يقللوا من طموحاتهم إلى المستوى الذي يسهل تحقيقه.

عودة إلى روري والأعاصير

ربما يبدو أنه امتداد للمزاوجة بين الجمهور القائل بتقسيم الفصول بحسب القدرات (أوكس، كوهين) وكتاب **كل شخص هو عبقري كامن**، اللذين سبق أن ذكرت كتبهما، غير أن الظاهرتين تتقاسمان كثيرًا من التشابه؛ فكل منهما تقوم على فكرة أن أفضل طريقة للتعامل مع الموهبة أن تعتقد أنها لا توجد على الإطلاق في الأطفال، والأفضل من ذلك أنها (تخلق) من خلال الجهد، والتدريب والتعامل الفج أحيانًا الذي تقدمه لك الحياة.

هؤلاء الذين اختاروا أن ينكروا أي أسس بيولوجية للموهبة، يبدو أنهم انتقائيون جدًّا في فروع علم الجينات التي يشذبونها، لا أستطيع أن أتخيل أن أيًّا من هؤلاء الكتاب يستطيع أن ينكر أن لون شعره، وطوله، واستعداده للأمراض، أو قصر نظره أو ميله تجاه البدانة ليس لها -على الأقل- بعض المرتكزات في الجينات التي نتوارثها، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى كل عنصر آخر لوجودنا منذ الميلاد، فعندئذ، كيف لهم أن ينكروا المكانة الحقيقية للجينات في تحديد مستوى الذكاء الفطري للشخص؟

Digitized by Google

لا يستطيع أحد أن يدحض التأثير المحتمل لأسلوب حياتك الشخصي أو البيئة التي تعيش فيها في نوعية حياتك اليومية؛ لذلك حتى إن ولدت ولديك قابلية سابقة تجاه أمراض القلب، فإن التدريبات الرياضية والوجبات الصحية يمكن أن تخفف من فرص إصابتك بتلف الشريان التاجي، وعلى الرغم من عدم وجود كثير مما يمكن أن تفعله لزيادة طولك، حتى بعض لاعبي كرة السلة العظماء الذين لم يتناسب طولهم مع الطول المثالي نجحوا مهنيًّا؛ مثال على ذلك: تايرون (ماجسي) بوجيس الذي يبلغ طوله خمسة أقدام وثلاثة أعشار، كان أقصر رجل يلعب في الجمعية الوطنية لكرة السلة (NBA) أصبح حارس نقطة في تشارلوت هورنيتس، وكانت له معهم حياة عملية ناجحة على مدى عشر سنوات؛ لذلك بالطبع بيئة الشخص واختيارات أسلوب حياته الشخصية تؤثر في نوعية الحياة التي يعيشها.... لكن الجينات تفعل هذا؛ بطرد أو إنقاص الصلة القوية بين المادة الجينية وعناصر معينة من كينونة الشخص – مثل الذكاء – يقوم بعض الأشخاص الأذكياء جدًّا بتقديم تأكيدات غبية جدًّا، والمحزن أنهم يحملون معهم عددًا كبيرًا من الأمريكيين.

(روري والأعاصير) لم تكن لديهم الوفرة التي يملكها (البيتلز) طبيعيًّا؛ الموهبة الفطرية في الموسيقى كانت تعزز بتدريباتهم، ولم تقررها هي، وينطبق الأمر على الأطفال الموهوبين؛ فهم موجودون منذ الميلاد، ويعرف هذا أولياء الأمور الحكماء والمعلمون الآخرون لهؤلاء الأطفال، فنحن نتجاهل العلامات الباكرة للموهبة عند شعورنا بالخطر، فمعاملة الأطفال معاملة واحدة من أجل المساواة هي في الحقيقة أكثر شيء ظالم يمكن أن نقدمه لكل طفل.

أحد الجوانب الإضافية لجلادويل وجمهوره، هو حبهم الشديد للموهبة (المصطلح الذي تحاشوه) كونها مرادفًا للنبوغ، والأمثلة المذكورة هي لموسيقيين معروفين، ورياضيين محترفين وحاصلين على جائزة نوبل، وبعد فهؤلاء الذين يعيشون ويعملون مع الأطفال الموهوبين يعرفون أن الموهبة هي أكثر من مجموع إنجازاتهم، في الواقع بعض الناس ذوي الموهبة العالية يفشلون في تحقيق إنجاز في أي وسيلة مرئية؛ لذلك يصبح السؤال: هل الموهبة شيء أنت تفعله، أم هل هي شيء في داخلك؟ هيا بنا نستكشف ذلك السؤال في الفصل اللاحق.

Digitized by Google